الفصل الثاني

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف

في انحرافات سلوكية لبعض الطرق الصوفية

۞ التقرب برقص الصوفية من آثار الزندقة ص٧٩

۞ كل ما يُروى في لبس الخِرقة الصوفية باطل ص٨٢

للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله من أئمة الأزهر وكبار الشافعية

۞ إن الله ما كلفنا باتباع مشايخ الصوفية ص٨٣

۞ بدع الذكر الصوفي ص٩٥

فضيلة الأستاذ الشيخ الإمام محمد عبده رحمه الله مفتي الديار المصرية

۞ لو كان المولد حقًّا لسبقنا السلف إليه ص١٠٠

فضيلة العلامة المجتهد الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله مفتي الديار المصرية

۞ مهازل الذكر الصوفي ص١٠١

فضيلة الشيخ الإمام الأكبر محمود شلتوت رحمه الله شيخ الأزهر الشريف

۞ النكير على بدع الطرق الصوفية في الأذكار والموالد ص١٠٥

فضيلة الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله مفتي الديار المصرية

۞ بدعة الرقص الديني ص١٠٩

فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله وكيل وزارة الأوقاف

۞ عجبا لمن يتعبد بالغناء والرقص والسماع الشيطاني ص١١٢

فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله من كبار علماء الأزهر الشريف

۞ بدع بعض الصوفية في الأذكار والموالد ص١١٥

فضيلة الشيخ الدكتور محمود محمد مزروعة حفظه الله

عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سابقا

التقرب برقص الصوفية من آثار الزندقة للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (١)

من أئمة الأزهر وكبار الشافعية

قال رحمه الله (٢):

«واستدلَّ جماعةٌ من الصوفية بحديث الباب على إباحة الغناء وسَماعه بآلة وبغير آلة، ويكفي في رد ذلك تصريح عائشة في الحديث الذي في الباب بعده بقولها: «وليستا بمغنيتين». فنفتْ عنهما من طريق المعنى ما أثبتتْه لهما باللفظ؛

---

(١) هو الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الأصل، المصري المولد والمنشأ، ولد في شعبان سنة ٧٧٣ هـ بمصر القديمة، ومات والداه وهو طفل؛ فنشأ يتيمًا، وحفظ القرآن الكريم وله تِسْعُ سنين، ثم رحل طالبًا للعلم إلى كثير من البلاد، وأتقن الكثير من العلوم، وكان يدرس ويخطب بالجامع الأزهر؛ جاء في «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»: «ثم أرسل المستعين كتابًا ثانيًا إلى من بالقاهرة من الأعيان؛ فأرسل إلى الجامع الطولوني، فقرأه خطيبه ابن النقاش على المنبر، ثم أرسل إلى الجامع الأزهر، فقرأه خطيبه الحافظ ابن حجر على المنبر». له مصنفات عظيمة النفع من أشهرها: فتح الباري، وتوفي بمصر ثامن ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ.

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٤٤٢).

لأن الغناء يُطلَق على رفع الصوت وعلى الترنُّم الذي تسميه العرب النَّصْب -بفتح النون وسكون المهملة- وعلى الحداء، ولا يُسمى فاعله مغنيًا، وإنما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير، وتهييج وتشويق بما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح.

قال القرطبي: «قولها: ليستا بمغنيتين. أي: ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك، وهذا منها تَحَرُّز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يحرِّك الساكن ويبعث الكامن، وهذا النوع إذا كان في شِعْرٍ فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المحرمة لا يُختلف في تحريمه»[1].

قال: «وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يُختلف في تحريمه، لكنَّ النفوس الشهوانية غلبتْ على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة.

---

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٨/ ١١).

وانتهى التَّوَاقُحُ بقوم منهم، إلى أنْ جعلوها من باب القُرَب وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سنيَّ الأحوال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة، وقول أهل المخرِّفة، والله المستعان»[1] اهـ.

وينبغي أن يُعكس مرادهم ويقرأ: سيئ الأحوال».

(١) المصدر السابق (٨/ ١٢).

كل ما يُروى في لبس الخِرقة الصوفية باطل

وقال رحمه الله بشأن الخرقة[١]:

«إنه ليس في شيء من طُرُقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حَسَن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحدًا من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يُروى في ذلك صريحًا فباطلٌ.

ثم إنَّ من الكذب المفترى قول من قال: إن عليًّا ألبس الخرقة الحسنَ البصريَّ فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من عليٍّ سماعًا فضلًا عن أن يُلبسه الخرقة!».

(١) «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي (١/ ١٧٦).

إن الله ما كلفنا باتباع مشايخ الصوفية

لفضيلة الأستاذ الشيخ الإمام

محمد عبده رحمه الله

مفتي الديار المصرية

زار الأستاذ الإمام رحمه الله قرية «بهادة» في يوليو سنة ١٩٠٤م، وشهد منزل عُمدتها الشيخ عبد المؤمن موسى حوارًا خصبًا شارك فيه الأستاذ الإمام والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد الدلاصي من المتصوفة، وكان غرض العمدة أن يجري الحوار عن الصوفية والتصوف بين الأستاذ الإمام، والشيخ محمد الدلاصي الصوفي.

وقد حضر هذا المجلس جمع من العلماء، من بينهم: شيخ الجامع الأزهر الشيخ على البيلاوي، والشيخ أبو الفضل الجيزاوي، والشيخ سليمان العبد. وكان مما دار في الحوار ما يأتي[1]:

---

(١) «الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده» (٣/ ٥٤٧ - ٥٥٣).

الشيخ رشيد رضا:

يقولون إن للأولياء ديوانًا يجتمع فيه الأحياء والميتون، فما أقروا عليه فهو الذي يقع في الكون، وإننا نرى حوادث الكون في جملتها وتفصيلها منافية لمصلحة المؤمنين، حتى علتْ عليهم الملل كلها، فاستولت الدول المسيحية على معظم بلادهم، وسبقتهم في العزة والمكانة الشعوبُ الوثنية.

فإذا كان أولياء المسلمين وأنصار الدين هم المتصرفين في الأكوان، لا يجرى فيها إلا ما يجرونه، ولا يستقر إلا ما يقرُّونه، فما بالهم ينصرون الكافرين على المسلمين؟!

وكيف اعتز الإسلام بطائفة من سلفهم، ثم هو يخذل الآن باتفاق الأحياء منهم والميتين؟!

الأستاذ الإمام:

والحق أن مسألة الديوان والتصرف الباطني عند الصوفية المتأخرين هي رمز إلى ما كان عليه سلفهم عندما كانت هذه الطائفة حية عاملة؛ ذلك أن الفقهاء كانوا

يكفرون الصوفية، وكان الحكام أنصارًا للفقهاء فكان جميع أمر الصوفية مبنيًا على الكتمان، فوضعوا الرموز لعقائدهم واصطلاحاتهم وأعمالهم، وبالغوا في التستر كما هو شأن الجمعيات السرية العاملة.

وكان لهم اجتماع خفي يتباحثون فيه وينظرون في أمرهم وحمايتهم من أعدائهم، وكل ما يتفقون عليه في الباطن يسعون بتنفيذه بوسائله في الظاهر، فإذا اتفقوا على عزل حاكم، أو قتلِ ظالم، لا يَكُفون عن السعي حتى ينفد ذلك.

فهذا هو الديوان، ومعنى كون ما يجرى في الظاهر محكومًا به في الباطن. وكذلك كان شأن الباطنية -والصوفية فرقة منهم معتدلة- كما هو معلوم في التاريخ.

الشيخ محمد الدلاصي الصوفي:

س١: الناس إمام ومأموم. فالأول متبوع، والثاني تابع لا يعدو حده. فأنا قد اتخذت الشافعي إمامًا، فإذا وجدت في مذهبه شيئًا، ورأيت في كتاب الله شيئًا يناقضه، أراني مرتاحًا

للعمل بقول الشافعي دون قول الله تعالى. مثلًا: إن الشافعي يقول بحل الذبيحة بدون تسمية، ولكن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[الأنعام: ١٢١]، وأنا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه. ألست معذورًا بذلك؟!

س٢: إن الله فضل بعض الناس على بعض في الرزق وغيره، فإذا أعطى الله عبدًا جنيهًا، ألا يجوز لي أن أقول له أعطني ريالًا من الجنيه الذي أعطاك الله؟ وقد عَلِمنا من مشايخنا أن الله تعالى أعطى سيدي أبا الحسن الشاذلي وأبا العباس المرسي وفلانًا وفلانًا سرًّا لم يعطه لغيرهم، فأيُّ مانعٍ من أن يطلب الإنسان منهم شيئًا من هذا السر الذي أعطاهم الله، كما يطلب الريال من صاحبه بالجنيه؟

الأستاذ الإمام:

أما قولك الأول فهو خطأ كبير، وفيه خطر عظيم؛ فإن الذين أجازوا لك تقليد الإمام الشافعي أو غيره من الأئمة ﷺ، يشترطون في ذلك ألا تعرض لك شبهة في كتاب الله

تعالى، فترى أنك تعمل بنقيضه، فإن عرضت لك الشبهة وجب عليك حالًا السعي في كشفها وإزالتها، وإلا زال الإيمان؛ فإن الشك في كتاب الله تعالى كفر صريح بإجماع المسلمين، وكذلك نبذه وراء الظهر وتقديم غيره عليه.

نعم، إن الناس إمام ومأموم؛ ولكن إمام هذه الأمة واحد، وهو رسول الله ﷺ المعصوم، وإنما العلماء ناقلون ومبيِّنُون عنه؛ فمتى تعارض كلامهم مع ما جاء عنه رجعنا إليه كما أمرونا، إلا أنْ يظهر لنا عدم التعارض والتناقض.

الشيخ الدلاصي الصوفي:

إنني لا أشك في كتاب الله، ولكن أعلم أن إمامي قد اطلع على الآية وفهمها أحسن مما أفهمها، ولذلك لا أراني مخالفًا لكتاب الله ولا شاكًّا فيه.

الأستاذ الإمام:

إن الله تعالى يحاسبك على ما تفهم وتعتقد، لا على ما فهم الشافعي، وأنت قلت الآن إنك ترى الآية مناقضة لقول

الشافعي، فترجيحك قول الشافعي حينئذ يقتضي أن يكون قول الله تعالى مرجوحًا، فهو عندك دون المشكوك فيه حقيقة، لأن الشك استواء الطرفين، وترجيح أحدهما يقتضي بطلان الثاني ولو ظنًّا.

فإن كنت تقلِّد الشافعي وترى الآية موافقة لقوله فلا إشكال ولا محل للسؤال.

الشيخ الدلاصي الصوفي:

إن أبا حنيفة والشافعي يختلفان في الحكم، ونتبع أحدهما ولا نرى في ذلك مخالفة للقرآن.

الأستاذ الإمام:

إذا كان الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي، ولم يكن هناك قرآن تقرؤه وتفهم منه أنه مؤيد لقول أحدهما -فلا حرج عليك في الأخذ بقول من شئت منهما، لأنك لم تنحرف عن كتاب الله تعالى، ولم تُلقِه وراء ظهرك.

وليس هذا من السؤال الأول في شيء؛ لأن الترجيح

هناك بين قول الشافعي وقول الله ﷻ الذي تراه يناقضه، على أن المثال هناك غير صحيح، فإن الآية لا تناقض قول الشافعي، إذ النهي فيها عن متروك التسمية مقيد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وقد فسروه بقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وأما الجواب عن السؤال الثاني: فهو أننا نسلم أن الله تعالى فضَّل بعض الناس على بعض في الرزق والمواهب الظاهرة والباطنة. ولكنَّ فضل الله على عباده قسمان:

قسم مكسوب يمكن بذلُه أو البذل منه، وقسم ليس في استطاعة البشر بذله أو البذل منه كالإيمان والمعارف الوجدانية، ومنها ما يسميه الصوفية بالأسرار، فإنهم قالوا إنها أمور ذَوقيَّة لا يعرفها إلا مَن ذاقها، فلا يصح أن تُطلب ولا أن تُوهب.

إن الناس يسألون الأموات الذين يعتقدون فيهم الولاية ما قطعه الله عنهم من رزق الدنيا ومصالحها، وما لا يبذل من

ذلك بحسب الأسباب والسنن الإلهية وما يبذل، فيطلبون منهم المال وزيادة الغلة ونماء الزرع وشفاء المرضى والانتقام من الأعداء، وأمثال ذلك مما لو كان في أيديهم وصَحَّ لهم بذله كما يبذل صاحب الجنيه ريالًا منه لكان لهم في أمر الآخرة الذي هم في شاغل عنه.

الشيخ الدلاصي الصوفي:

إننا تلقينا عن مشايخنا كما تلقوا عن مشايخهم أن سيدي أبا الحسن الشاذلي وسيدي أبا العباس المرسي من أولياء الله ومن أصحاب السر والمدد، وأن تلامذتهم في حياتهم وأتباعهم بعد مماتهم يتوسلون بهم إلى الله تعالى ويطلبون منهم المدد والسر، كما نرى ذلك في كتبهم ككتب ابن عطاء السكندري وسيدي المصطفى البكري؛ فهل تقول: إن هؤلاء كانوا على ضلال أم كانوا مهتدين؟

الأستاذ الإمام: هل جاء مثل هذا الذي تنقله عن هؤلاء الأولياء في كتاب الله تعالى؟

الشيخ الدلاصي: لا.

الأستاذ الإمام: هل جاء في سنة رسول الله ﷺ؟

الشيخ الدلاصي: لا.

الأستاذ الإمام: هل نُقل مثله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة؟

الشيخ الدلاصي: لا.

الأستاذ الإمام: هل نُقل عن التابعين والأئمة المجتهدين وقدماء الصوفية؟

الشيخ الدلاصي: لا.

الأستاذ الإمام: فخذ هؤلاء كلهم: رسول الله ﷺ وأصحابه، والتابعين والأئمة الأربعة، وقدماء الصوفية كالخراز والجنيد رئيس الطائفة، وسائر أهل القرنين الأول والثاني وضَعْهُم في كفة ميزان، وضع في الكفة الأخرى مَن ذكرتَ من المشايخ المتأخرين، واتِّبع الراجح.

الشيخ الدلاصي:

ولكن.. هل نقول: إن أبا الحسن الشاذلي وأبا العباس المرسي وياقوت العرش وابن عطاء السكندري ومصطفى البكري كانوا ضالين مخالفين لهدي الله ورسوله وأصحابه؟ أم كانوا مهتدين؟

الأستاذ الإمام: إنك بعد بيان الحق تكرر هذا السؤال. تتسقطني لأقول إن كل ما يخالف هدي السلف فهو ضلال، فتخرج فتقول للعامة إن المفتي أو فلانًا يضلل كبار أولياء الله تعالى.

ولكنني لا أقول لك ذلك، بل أقول: إن الله تعالى ما كلفك باتباع هؤلاء، حتى لو مت ولم تعلم بوجودهم في الدنيا لَمَا سألك الله تعالى يوم الحساب عنهم، ولكن كلفك باتباع كتبه ونبيه وهدي أصحاب نبيه الذين أخذوا الدين عنه مباشرة وكانوا به خير العاملين، فهل تقول: إنهم كانوا ضالين؟!

ثم إنني أقول لك: إنني أحترم أبا الحسن الشاذلي، وأنا من أهل طريقته، لم أسلك غيرها، ولكن ليس كلُّ ما ينسب إليه

يصح عنه، بل قال لي شيخي الذي سلكْت عنه الطريقة: إن هذه الأحزاب المنسوبة إلى سيدي أبي الحسن لم تصح عنه.

الشيخ الدلاصي: لكنها متواترة.

الأستاذ الإمام: كيف.. وفريق من الشاذلية ينكرها؟!

أولًا: إن الكتاب والسنة العملية منقولان بالتواتر القطعي، وما عداهما من سيرة النبي وأصحابه وسلف الأمة منقول بأسانيد معروفة يمكن بها تمييز الصحيح من غيره. وما نقل عن الشاذلي وغيره من الأولياء لا سند له يحتج به شرعًا؛ فإذا فرضنا أن كلامهم في مرتبة كلام الله ورسوله -ولا يقول بهذا مسلم- وجب ترجيح كلام الله ورسوله وكلام السلف على كلامهم، لصحة النقل، كما يُرجَّح بين الحديثين.

وكيف.. وقد اشتهر الكذب عليهم، ودس الزيادات في كتبهم، كما صرح بذلك الشعراني الذي كانوا يدسون عليه في حياته، ويزيدون في كتبه ما يخالف الكتاب والسنة ولا تزال كتبه مملوءة بهذا الدسائس؟

ولو صح عنه كل ما نسب إليه لَمَا كان مؤمنًا بل ملبسًا يريد إفساد عقائد المؤمنين.

ثانيًا: إذا فرضنا أن النقل عنهم صحيحٌ، وأنه لا دسائس فيما يُنقل عنهم -فإننا نرجح هدي الكتاب والسنة لعصمة كتاب الله وعصمة رسوله دون غيرهما...

ثالثًا: إذا فرضنا أن هؤلاء الأولياء معصومون كالأنبياء -ولم يقل بهذا مسلم- فالأَوْلى لنا أن نؤول كلامهم، حتى ينطبق على هدي الكتاب والسنة والسلف؛ لأنه الأصل باتفاقهم وإقراراهم.

رابعًا: إذا فرضنا أن الكل في مرتبة واحدة، وأنه لا أصل ولا فرع -ولا يقول بهذا مسلم- فعلينا أن نعمل بالكتاب، لأنه واضح مبين كما وصفه الله تعالى في مواضع منه، وبالسنة لأنها بيضاء واضحةٌ كما وصفها صاحبها، وقال: «**ليلها كنهارها**»[1]، وبسيرة السلف؛ لأنهم أعلم الناس بهما.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم (١ / ٩٦).

بدع الذكر الصوفي

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

وهذه طلائع خيرٍ تبشِّرنا بحياة الشريعة الحقة، والسنة القويمة، وبانتصار جيش نور الهدى على كتائب ظلم البدع والضلالة، إذ وجه أولو الأمر منا نظرهم إلى تخفيض شأن البدع وإزالتها.

فلنشكر همة سعادة ناظر الأوقاف العمومية على عنايته بشأن الشرع الشريف، واهتمامه باحترام أماكن العبادة، وصيانتها عن وقوع اللهو وسيئ الأفعال.

ونُثْني كل الثناء على حضرة سيادة شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية[٢] الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يبالي في نُصرة دين الله بكثرة عدد الجاهلين؛ فلقد نسمع بعضًا من الجهلة، بل عددًا وافرًا منهم يقول: هذه سُنة وجدنا

---

(١) «الأعمال الكاملة» (٢/ ٢١)، ونشرت في جريدة الوقائع المصرية، العدد ٩٥٨، بتاريخ ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٢٩٧هـ.

(٢) كان هذا قبل تولي الإمام محمد عبده منصب مفتي الديار المصرية.

عليها آباءنا، وأخذ العهود علينا باتباعها أشياخُنا، وطبعت على حبها قلوبُنا، وتَمَرَّنَت على القيام بها أعضاؤنا؛ فكيف يصح أن يحكم علينا بتركها؟! إن هذا لشيء عجاب!

تلك حججهم الواهية كحجج غيرهم من المبتدعين، يُهدرون دم الشريعة طوعًا لأغراضهم، وتنفيذًا لأحكام عاداتهم، ولبئس ما كانوا يصنعون، ويأبى الله إلا أن يُحق الحق على يد نصرائه الذين يفضلون تأييده على مِدْحةٍ تصدر من جاهل لا تغني من الجاه شيئًا.

ولا يتوهمنَّ مُطَّلِع على أمر نظارة الأوقاف أنَّ المنع خاصٌّ «بالباز» وطريقة «السعدية»، أو بالطبل على العموم، بل هو صريح في عموم كل فعل يوجب تشويشًا على مصل، أو إخلالًا بحرمة المسجد؛ فيدخل في المنع طريقة «المغاربة» المنسوبة للسيد «عبد السلام الأسمر» كذبًا وافتراء.

ومن شعائر بناء تلك الطريقة اتخاذ طبول متنوعة، بعضها مستطيل على شكل المدفع يحملونه على أعناقهم وقت الذكر، وله صوت أشبه بصوت المدفع أيضًا، وبعضها

مستديرٌ يعرف بالطار إلا أنه كبير ينشأ من ضربه صوت عنيف يصم الآذان.

ولا يجتمعون للذكر إلا وفي مركز دائرتهم موقد نار ليشدوا عليها جلد الطبل لتزداد ضخامة الصوت، فإذا قاموا إلى الذكر، غطوا شناعة أصوات تلك الطبول الكثيرة بضجتهم المزعجة، يجأرون بألفاظ لا مدلول لها.

وعندما يشتد خمر الأوهام في عقولهم يهيمون هيام المعاتيه، ويتجرد البعض منهم عن ثيابه ويأخذ جذوات من النار ويدخلها في فيه، ويلامس بها بدنه إظهارًا للكرامة - وحاشى أن يكون من الكرامة- كل ذلك مع حركات شديدة، واختباط غريب.

ومن عادتهم أن يأتوا بمثل هذا العمل في مسجد سيدنا الحسين بمولده، فيجتمع عليه الناس ويزدحم المتفرجون ويشوشون أذهان الزائرين، وهذا حظهم، ولا يعلم أية سنة تبيح أمثال هذه المنكرات التي يجربها الجهلة في بيوت الله المعظمة، ولا يخرج من حكم المنع أيضًا ما يُفعل من نحو

ذلك بأضرحة الأولياء رضي الله عنهم، وإن لم تكن مساجد، لمنافاتها الأدب الواجب في حقهم.

على أن الشريعة المطهرة مانعة من أن يُقرن ذكر الله بآلات لهوٍ على العموم بدون استثناء، خصوصًا وأنه لا يشك عاقل في أن قصدهم بضرب الطبول وتوقيع الذكر على نغماتها إنما هو اللهو والطرب الممنوعان شرعًا.

يرشد لذلك تضاحكهم وتلاعبهم في نفس محافلهم الموقرة، وتهاتفهم فيها على ما لا يليق بشأن الدعوة.

ولو كلف أحدهم أن يهتف بذكر الله مرة وهو وحده لم تسمح له نفسه بذلك، ولكن يحركه إلى هذا الذي يسميه ذكرًا حُبُّ الطرب والميل إلى اللعب، وأقبح شيء في هذا الباب اعتقادهم أن طاعة شهواتهم هذه طاعة لله، نعوذ بالله من الزيغ.

ولا ريب أن علماءنا -رفع الله قدرهم- سيفرحون بمنع هذه البدع فرحًا شديدًا، ويرجون من عدالة الحكومة إزالتها وأمثالها مما تنكره نصوص الشرع، ويعاب على العقول السليمة أن تقره.

ويشمل حكم المنع أيضًا الازدحامات التي تكون بالمساجد الشهيرة في أيامٍ تعرف «بالحَضْرَات» كيومي الأحد والأربعاء بمسجد السيدة زينب، ويومي السبت والثلاثاء ويوم عاشوراء بمسجد سيدنا الحسين؛ إذ يختلط فيه النساء بالرجال على هيئةٍ ينكرها الشرع والطبع جميعًا، ويجرى فيها من الفِعَال القبيحة ما لا يليق ذكره. ولا يدع الازدحام مكانًا لمصلٍّ يصلي فيه، ولئن وُجِدَ المكان فقَلَّمَا يستطيع أداء الأركان بدون تشويش فيها.

فهذا الأمر الذي أصدرته نظارة الأوقاف متبعة فيه إفتاء شيخ الإسلام ﷺ يعتبر أساسًا جليلًا لمنع كثير من البدع، وقد فُتح به باب من الخير لا بد من الوصول إلى غايته -إن شاء الله- وسيسري ذلك من القاهرة إلى بلاد الأرياف، فعلى الناهجين لطُرُق البدعة أن يعدلوا عنها قبل أن تمسهم يد الحق فيُجبروا على العدول غير مشكورين.

لو كان المولد حقًّا لسَبَقَنَا السلف إليه

لفضيلة العلامة المجتهد الشيخ

عبد المجيد سليم رحمه الله (١)

مفتي الديار المصرية

قال فضيلته رحمه الله (٢):

عمل المولد بالصفة التى يعملها العامة الآن لم يفعله أحد من السلف الصالح، ولو كان ذلك من القُرَب لفعلوه.

---

(١) فضيلته من مواليد سنة ١٨٨٢م، محافظة البحيرة، تخرَّج في الأزهر الشريف سنة ١٩٠٨م، حاملًا العالمية من الدرجة الأولى، وشغل وظائف التدريس، والقضاء، والإفتاء، ومشيخة الجامع الأزهر، ومكث في الإفتاء قرابة عشرين سنة، وله من الفتاوي ما يربو على خمسة آلاف فتوى، وتولى مشيخة الأزهر مرتين، أُقِيلَ في أولاهما؛ لأنَّه نقدَ الملك، ثم استقال من المنصب في المرة الثانية في ١٧ سبتمبر ١٩٥٢م، وتوفي في صباح يوم الخميس ١٠ من صفر ١٣٧٤هـ / ٧ أكتوبر ١٩٥٤م.

(٢) «فتاوى دار الإفتاء»، فتوى (٥٨٩)، بتاريخ (أول ربيع الثانى ١٣٦١هـ - ٢٧ أبريل ١٩٤٢م).

مهازل الذكر الصوفي

فضيلة الشيخ الإمام الأكبر

محمود شلتوت رحمه الله (١)

شيخ الأزهر الشريف

سُئِلَ فضيلته رحمه الله عن: بيان المعنى المقصود من ذِكْرِ الله الذي طلبه القرآن وحَبَّبَهُ وامتدح أهله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وهل منه هذا اللونُ الذي نراه ونسمعه من بعض المنتسبين إلى طوائف الصوفية في الموالد والمجتمعات التي تُعرف عندهم باسم الحَضَرَات، وهل يصح الذكر بكلمة (أه) أو بكلمة: (لا إيلاه إيلا اللاه)؟

---

(١) ولد فضيلته بمنية بني منصور بمحافظة البحيرة سنة ١٨٩٣م، وقد تولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٨م، تولى عدة مناصب، منها: عضوية هيئة كبار العلماء سنة ١٩٤١م، وعضوية المجمع اللغوي سنة ١٩٤٦م، وعضوية المؤتمر الإسلامي سنة ١٩٥٧م، وعضوية مجلس الإذاعة سنة ١٩٥٠م، ومشيخة الأزهر سنة ١٩٥٨م، وتوفي في ١٣ ديسمبر ١٩٦٣م.

فقال فضيلته رحمه الله [١]:

الجواب: أن الأصل في ذكر الله هو استحضار عظمته وامتلاء القلب بجلاله وجماله، وطريقة النظر والتفكير في بديع المصنع المحكم، وآثار القدرة الباهرة، والحكمة البالغة، والسلطان النافذ، وهو بهذا المعنى أثر الإيمان الحق، وأساس المراقبة الصادقة، والباعث على كل خير، ويقابله الغفلة عن تلك العظمة؛ والغفلة عن تلك العظمة أثر لضعف الإيمان، وسبيل للرَّين على القلوب.

وكثيرًا ما يطلق على التعبير اللساني عن تلك العظمة باسمٍ من أسماء الله الحسنى التي سمَّى الله بها نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله، وهذا هو ما يعرفه الناس اليوم من كلمة: «ذكر الله»، ولكن هذا الذكر اللساني لا يحصل صاحبه على حظ الذاكرين عند الله إلا إذا كان ترجمة معبِّرة عن الذكر القلبي. وفي غير ذلك يكون حُجة على صاحبه، وذنبًا يُحاسَب عليه.

---

(١) «الفتاوي» للإمام الأكبر محمود شلتوت ص١٧٠.

وأشد منه في المؤاخذة هذا اللَّوْنُ الذي نراه في الموالد والمجتمَعَات المعروفة باسم (الحضرات)، وإن من يسمعه ويرى القائمين به لا يتردد في أنه نوعٌ من الهزل والتمثيل الصاخب، والصياح المنكر الذي لا يمكن أن يكون معبرًا عن خاصة ذِكْرِ الله في قلوب المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨].

أما الذكر بكلمة «أه» -بفتح الهمزة وسكون الهاء-: فهي لفظٌ مهملٌ ليس له معنًى في اللغة، وليس -قطعًا- من أسماء الله الحسنى التي وردتْ في الكتاب، أو صَحَّ ورودها عن الرسول ﷺ.

وذكر الله عبادة، ولا يصح لنا أن نعبده إلا بما أذن لنا أنْ نعبده به، وإذن فالذكر بها كالذكر بالأسماء المحرّفة، والمد المغير للحروف والكلمات؛ فكلاهما ذِكر فاسد وذِكر حرام، وأخشى أن يكون المتمسكون بألوان هذا الذكر من

الذين أمرنا الله بتركهم والإعراض عنهم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ألا وإن تسمية الله بما لم يُسَمِّ به نفسه، والتحريف فيما سمى به نفسه لَمِنْ أظهر صور الإلحاد في أسمائه.

هذا... وأرجو أن يهتم العلماء من رجال الصوفية بهذا الجانب، وأن يعملوا على منعِ الذِّكرِ بالأسماء المخترَعة أو المحرَّفة، وأنْ يطهروا مجتمعات الذكر من صور المهازل.

النكير على بدع الطرق الصوفية في الأذكار والموالد

لفضيلة الشيخ

حسنين مخلوف رحمه الله (١)

مفتي الديار المصرية

سُئل فضيلته رحمه الله (٢):

يقوم رجال من المنتسبين للصوفية بمراسيم في الموالد الكبيرة حول الصاري، وهي أن يقف أربعة منهم، كل واحد

---

(١) ولد فضيلته بالقاهرة، يوم السبت ٦ مايو سنة ١٨٩٠م، وحفظ القرآن الكريم بصحن الأزهر، التحق بالأزهر وهو في الحادية عشرة من عمره، وتلقى دروسه في مختلف العلوم على كبار الشيوخ وكان منهم والده الشيخ «محمد حسنين مخلوف العدوي» وغيره كثير، ثم حصل على شهادة العالمية سنة ١٩١٤ م، وعُين قاضيًا بالمحاكم الشرعية سنة ١٩١٦م، وعُين عضوًا بجماعة كبار العلماء بالأزهر سنة ١٩٤٨م، وعمل مفتيًا للديار المصرية في الفترة من سنة ١٩٤٦م حتى سنة ١٩٥٠م، وأعيد مفتيًا للديار مرة ثانية في مارس سنة ١٩٥٢م وحتى ديسمبر سنة ١٩٥٤م، وبعدها عمل رئيسًا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف مدة طويلة، وتوفي: في إبريل سنة ١٩٩٠م.

(٢) فتاوى شرعية، لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف (ص١٦٨-١٦٩)، الطبعة الخامسة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. دار الاعتصام.

قبل الآخر مشيرًا بذراعيه قابضًا باسطًا محرّكًا جسمه يمنةً ويسرةً قائلًا: يا الله يا الله، بصوتٍ مرتفع، ثُم يدورُ بعد ذلك طابوران، يتقدمهم المنشدُ، يصافح رجالُ كل طابور جميعَ من يقف في الحلقة، يحدث ذلك ثلاث مرات، فهل لذلك أصل في السُّنة أو في عمل السلف؟

فأجاب فضيلته رحمه الله:

نحمد الله ونستغفره ونتوب إليه مِن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وبعد: **فاعلم أنَّه لا أصلَ في الدِّين لذِكر الله تعالى بهذه الهيئات المذكورة بالسؤال، ولم يُعرف عن السلف الصالح، ولا دعا إليه العارفون مِن أئمة الصوفية، بل هو مِن البدع السيئة التي استحدثها بَعْضُ أهل الطرق؛ جهلًا بِهَدْيِ رسولِ الله ﷺ في ذِكْرِ ربه، وهو مِن المُحرَّم شرعًا، خصوصًا إذا أَدَّى التزامُ هذه الهيئات في الذِّكر إلى اعتقاد مشروعيتها وطلبها** -ولو على سبيل الندب-.

وقد استقرَّ الآن في عقائد العامة مِن المداومة عليها، ودعوة

جهلة مشايخ الطرق إليها، ودفاعهم عنها واستمساكهم بها، أنَّها مِنَ الدِّين؛ بل مِمَّا لا بدَّ منه في الذِّكر ونيل الثواب والأجر، وهذا مما يوجب التحريم ويوقع في الإثم العظيم.

والواجب على كل قادر من العلماء والمشايخ والدعاة إلى الحق أن ينهى عنها ويزجر مَنْ يأتي بها، ويرشده إلى خطرها، وإلى أن اقتران المعصية بالطاعة مؤثِّم ومحبط للثواب.

أَمَّا الثواب الذي وَعَدَ الله به الذاكرين فإنما يكون لمن يذكره -جل شأنه- بخشوعِ القلب وخضوعِ الجوارح وحضورِ الفِكْر وشهود جلال ذي الجلال، لا بهذه الهيئات والحركات التي أنكرها الراسخون في العلم مِن أعلام الصوفية منذ ابتدعت هي وأمثالها كما يُعلم مِن الاطلاع على كثير مِن كتبهم.

وإن مقام العبودية هو المقام الأسنى الذي وصف الله تعالى به عباده المصطفين الأخيار، خاطبهم به، وشَرَّفَهم بنسبته في كثير من آي القرآن الكريم، ووصف به عباده الطائعين وعباده المخبتين، ولا يُمكن التحقُّقُ بهذا المقام، إلا

إذا وقف العبدُ بين يَدَيْ مولاه، يذكره ويناجيه، ويدعوه ويبتهل إليه بما شرعه سبحانه في عبادته، وأرشد إليه على لسان رسوله.

وهو الذي درج عليه القدوةُ مِن سلف الأمة وصلحائها، وخروج العبد عن هذا المنهج، والابتداع فيه من وسوسة الشيطان التي يبغي له بها الخذلان ويرديه بها في حمأة العصيان.

ومِن العجب أن يسكت بعض المنتسبين للعلم عن إنكار هذه البدع وما إليها من الشعوذة والتدجيل الذي اعتاده بعضهم، يشهدونها ويقرونهم عليها ويجارونهم في فِعْلِهَا، بل يدافعون المنكرين لها الذائدين عن حمى الدِّين والدَّاعين إلى سبيل ربِّ العالمين وهدي إمام العابدين -نسأل الله أن يهديهم سواء السبيل-

بدعة الرقص الديني

لفضيلة الشيخ

محمد الغزالي

وكيل وزارة الأوقاف

سُئِلَ فضيلته رحمه الله [(١)]:

طائفةٌ من العُبَّاد يجتمعون على ذِكْرِ الله بأسمائه الحسنى كلها أو بعضها، وقد يَتَمَايَلُون أو يَهْتَزُّون، فما حكم هذه العبادة؟

فأجاب فضيلته رحمه الله:

هذه بدعة قديمة استحدثها بعض أصحاب المشاعر المضطربة، وقد سماها بعض الصحافيين الأجانب «الرقص الديني» وهي تسمية يحس المسلم بالخزي إذا سمعها! لأنها تجعل الإسلام أشبه بالعبادات التي يمارسها الزنوج في أفريقية وهذه فتنة مزعجة، وإهانة شديدة للإسلام..

والغريب هو ظهورها من قديم! فقد سئل الحسن البصري

---

(١) «مائة سؤال عن الإسلام» ص٣٦٦.

عن هذه المجالس فنهى عنها أشد النهي ! وقال: لم يكن ذلك من عمل الصحابة ولا التابعين، وكل ما لم يكن من عمل الصحابة ولا التابعين فليس من الدين -يقصد في شؤون العبادات- وقد كان السلفُ حُرَّاصًا على الخير وقَّافين عند حدود الله، وكانوا أحرص على الخير من هؤلاء، فنعلمُ أن ما تركوه ليس من الدين، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:٣].

قال الإمام مالك بن أنس -تعقيبًا على كلام الحسن البصري-: فما لم يكن يومئذ دينًا لن يكون اليوم دينًا[١]، وإنما يُعبد الله بما شرع، وهذا التجمُّع بالذكر والتمايل فيه لم يشرع قط فلا يصح أن يعبد الله به.

وحكى عياض عن التنيسي قال: كنا عند مالك وأصحابُهُ حوله، فجاء رجلٌ من أهل «نصيبين» يقول: يا أبا عبد الله

---

(١) انظر: «الاعتصام» (٢/ ١٨).

عندنا قومٌ من الصوفية يَأْكُلُون كثيرًا، ثم يأخذون في إنشاد القصائد، ثم يقومون فيرقصون! فقال مالكٌ: أصبيانٌ هم؟ قال: لا ! قال: أمجانين هم؟ قال لا، قوم مشائخ يذكرون الله! قال مالك: ما سمعت أحدًا من أهل الإسلام يفعل هذا؟[١]..

وقال أبو إسحاق الشاطبي[٢]: إن الاجتماع على ذكر الله بصوت واحد من البدع المحدَثة التي لم تكن في زمان رسول الله ﷺ، ولا في عصر السلف، ولا عُرفت قط في شريعة محمد وفي الحديث الصحيح: «**إنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٣].

الواقع أن هذا المسلك انحرافٌ دينيٌّ مرفوضٌ، ونحن هنا نتساءل: ما الذي حمل عليه، ودفع جماعة من العابدين إليه؟

---

(١) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض (٢/ ٥٤).

(٢) «الاعتصام» (١/ ٢٦٧).

(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧).

عجبا لمن يتعبد بالغناء والرقص والسماع الشيطاني

لفضيلة الشيخ

عبد الحميد كشك رحمه الله

من كبار علماء الأزهر الشريف

قال فضيلته رحمه الله [١]:

ومن عجب أن بعض الناس الذين يَدّعون التعبد يتخذون الغناء والرقص والتمايل طريقًا للتعبُّد، ويتركون السماع الرحماني، ويذهبون الى السماع الشيطاني، وقد عدَّ ابن القيم لهذا السماع بضعة عشر اسمًا[٢].

وسُئل فضيلته رحمه الله [٣]:

رأيتُ قومًا يتمايلون بأجسادهم ذات اليمين والشمال بحجة إنهم يذكرون الله تعالى، فيا حَبَّذَا لو وَضَّحْتُمْ لنا آداب الذكر، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

---

(١) «في رحاب التفسير» ص(٧٥٢١).

(٢) (الإغاثة ١/ ٢٥٦)

(٣) «فتاوى الشيخ كشك» (٤/ ٩٤- ٩٥).

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]. أو قوله -جل شأنه-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

فأجاب فضيلته رحمه الله:

المقصود من ذكر الله تزكيةُ الأنفس وتطهير القلوب وإيقاظ الضمائر، وإلى هذا تشير الآية الكريمة ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أَيْ أَنَّ ذِكْرَ الله في النهي عن الفحشاء والمنكر أكبرُ من الصلاة، وذلك أن الذَّاكر حين ينفتح لربه جَنَانُهُ ويلهج بذكره لسانه -يَمُدُّهُ الله بنوره، فيزداد إيمانًا إلى إيمانه ويقينًا إلى يقينه، فيسكن قلبه للحق ويطمئن به ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وإذا اطمأنَّ القلبُ للحق اتجه نحو المثل الأعلى، وأخذ سبيله إليه دون أن تَلْفِتَهُ عنه نوازعُ الهوى ولا دوافعُ الشهوة، ومن ثَمَّ عَظُمَ أَمْرُ الذِّكْرِ وجَلَّ خطره في حياة الإنسان، ومن غير المعقول أن تَتَحَقَّقَ هذه النتائج بمجرد لفظٍ يلفظه

اللسان؛ فإن حركة اللسان قليلةُ الجدوى ما لم تكن مواطئةً للقلب وموافقةً له، وقد أرشد الله إلى الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه المرء أثناء الذكر فقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ٢٥].

والآية تشير إلى أنه يُستحب أن يكون الذكر سرًّا لا ترتفع به الأصواتُ، وقد سمع رسول الله ﷺ جماعةً من الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال: «**يا أيها الناس ارْبَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أَصَمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميعٌ قريب، أقربُ إلى أحدكم من عُنُق راحلته**»(١).

كما تشير إلى حالة الرغبة والرهبة التي يَحْسُنُ بالإنسان أن يتصف بها عند الذكر.

ومن الأدب: أن يكون الذاكر نظيفَ الثوب طاهرَ البدن طيب الرائحة؛ فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطًا، ويستقبل القبلة.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٩٩٢) ومواطن أخر، ومسلم (٢٧٠٤).

بدع بعض الصوفية في الأذكار والموالد

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمود محمد مزروعة حفظه الله (١)

عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سابقًا

قال فضيلته حفظه الله (٢):

لا ريب أن لِذِكْرِ الله تعالى منزلةٌ عظيمةٌ بين عبادة الله تعالى وطاعته، وإذا عرفنا أن الله ﷻ ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته فليس من شك في أن ذِكْرَ الله ﷻ هو من أعظم

---

(١) ولد فضيلته في مركز «شبراخيت» بمحافظة البحيرة سنة ١٩٣٥م، حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين سنة ١٩٦٣م، ثم حصل على الماجستير سنة ١٩٦٧م، ثم الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٧١م، عمل في العديد من الوظائف حتى أصبح عميدًا لكلية أصول الدين سنة ١٩٧٨م، وعمل أستاذًا بقسم العقيدة بجامعة أم القرى، وقد كان عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية، وكذا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضوًا في جبهة علماء الأزهر، ورئيسًا لندوة العلماء بمصر، نفع الله به وأعلى في الدارين درجته.

(٢) من فتوى كتبت بخط يد فضيلته لدى الدار.

العبادات، بل هو أعظمها وأكبرها، بل إن الذكر يشمل جميع العبادات التي منها الصلاةُ والصيام والزكاة والحج، فكلٌّ منها ذكر لله ﷻ يعبِّر به المؤمن الطائع عن أنه يذكر الله سبحانه ويعبده بهذه العبادة المعيَّنة.

هذا المعنى الذي ذكرناه هو ما عَنَاهُ ربُّنَا سبحانه بقوله ﷻ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥]، فالذِّكر هنا له معنًى عامٌّ هو: شمولُهُ جميعَ أنواع الأعمال التي يراد بها وجه الله ﷻ على ما يقتضي الشرع الشريف.

لكن الذكر له معنًى خاصٌّ يُراد به: ما يقوم به المؤمن من أقوال يقصد بها ذِكْرَ الله ﷻ وتعظيمَه وتقديسه بذكر أسمائه وصفاته وآلائه.

هذا هو الذِّكْرُ الشرعيُّ الإسلامي الصحيح، وأبواب الذكر الشرعي في كتب الصحاح معروفةٌ بكثرة ما ورد فيها

من الأذكار المتعددة والمتنوعة، وهي شِرْعةٌ لمن أراد أن يذكر الله ﷻ ذكرا شرعيًّا بعيدا عن البدع والضلالات.

لكن الذكر الصحيح نالتْه يد البدع والضلالات، وهي يدٌ لم تترك من شرع الله شيئا إلا غيرتْ فيه، وبدلت منه، فابتدعت أذكارًا مخالفة لشرع الله تعالى كتابا وسنة وما ابتدعوا بدعة إلا قضوْا على سنة «وما أحيوْا بدعة إلا أماتوا سنة» وسنتكلم عن ذلك بإيجاز بحوله سبحانه.

والأصل في الذكر الشرعي أنه يحقق أمرين بالنسبة للمذكور سبحانه، ومثلهما للذاكر، فأما الأمران اللذان للمذكور ﷻ فهما:

الأول: تعيين الله الحق سبحانه وتحقيق له تبارك وإعلان للإيمان به، والإسلام له، والبراء من جميع الأنداد.

الثاني: ذِكْرٌ له بمحامده، وثناءٌ عليه بما هو أهله.

هذا؛ مع الإيمان بأن المذكور ﷻ غنيٌّ عن هذين الأمرين وعن غيرهما، ونفعهما إنما يعود إلى الذاكر، وقولنا: إن الذكر

يحقق أمرين للمذكور، نعني: أن الأمرين يتعلقان به ﷻ ويتصلان به، ولا نعني أبدا أنهما ينفعان إن وُجدا أو يضران إن فُقدا -جل الله وعز وتعالى وتبارك وتقدّس-.

وأما الأمران اللذان للذاكر، فهما:

الأول: إحياء الإيمان، وتَقْوِيَتُهُ، وتجديده، وتعهُّده بما يجعله في جميع الأوقات حيًّا قويا متجددا، ويتبع ذلك أن تكون آثاره وثماره قادرة عطاءة، فالقلب أرض، والذكر غيث يحيى موات القلب، ويجدد نشاطه، ويقوى إيمانه، ويجعل ذلك الإيمان فاعلا في نفس صاحبه، وثماره مؤثرة في المجتمع والآخرين.

الثاني: شكر الله ﷻ على أَنْعُمِهِ، والقيام بحق الله سبحانه من العبادة والتنزيه والتقديس على قَدْرِ الطاقة، دون عَدٍّ أو إحصاء للذكر والثناء على الله ﷻ.

والإحصاء والعد في الذكر يأتي على نوعين:

١ - المنُّ وبيان الفضل، واستحضار تعظيم ما قدم الذاكر

للمذكور سبحانه وربما تطرّق الأمر إلى استشعار العبد كثرة ما قدم لله ﷻ وذلك أَمْرٌ مذمومٌ، بل حرامٌ، بل يجعل العبد على شفا الطرد، وإحباط ما قدم، بل واستحقاقه الأوزار والآثام... وذلك ما برئ منه رسول الله ﷺ حين قال -بعد ذكر الله-: «**سبحانك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيْت على نفسك**».

٢- أن يكون العبد والإحصاء مطلوبين في العبادة كتسبيح الله ﷻ وتحميده وتكبيره ثلاثًا وثلاثين... أو يكون العدُّ والإحصاء معينًا للذاكر مشجّعًا ودافعًا له على إدامة الذكر... وذلك أمر لا بأس به، بل هو مطلوبٌ مرغوبٌ، أما كَوْنُ العَدِّ مطلوبًا في العبادة، فذلك لا يحصى عنه، فحكمه من حكم الذكر نفسه، وأما كونه معينا فذلك محمودٌ، وليس مذموما -كما يقوله البعض-.

والذكر الشرعيُّ ليس فيه نطق اسم الله سبحانه فقط، فليس هناك ذكر يقوم على قول القائل: الله، الله، الله -جل الله وعزَّ- فهذه طريقه لم يرد بها شرع، ولم تؤثر عن رسول الله ﷺ، ولا عن

أحد من الصحابة المهديين الهادين ﷺ أجمعين، بل هذه طريقة غير مقبولة، لا شرعًا ولا عقلاً.

أما شرعًا؛ فقد عرفنا أنها لم ترد عن سَيِّدِ الذَّاكِرِين العارفين بالله، المبلِّغ عن الله سبحانه، وإنما الوارد خلافه فكل الأذكار الواردة فيها تحميدُ الله ﷻ، وتسبيحه، وتكبيره، وتعظيمه، وذكره بجميع محامده التي يكون فيها مع ذكر اسم الله ﷻ صفة من صفاته، أو نِعَمِهِ، أو آلائه.

وما يتمسك به هؤلاء الحمقى المعاتيه مما يحسبونه دليلًا على ذكر الله تعالى باسمه وحده (لفظ الجلالة) فليس فيه من دليلٌ على ضلالهم، بل فيه دليل على جهلهم وغبائهم وبَلَاهتهم من جانب، وهو أسلم الجوانب بالنسبة إليهم، أو دليل على سوء معتقدهم وشدة حِقْدِهِمْ على الإسلام والمسلمين من جانب آخر، وهو أسوأ الجوانب؛ لأنه يرمي بهم إلى العُدْوَة القصوى من الكُفْرَان والفجران.

ودليلهم الذي أَشَرْنَا إليه، وبَيَّنَّا أنه دليلٌ فاسد، هو

استدلالهم بالآية من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[الأنعام:٩١].

فهؤلاء يستدلون من الآية الكريمة بقوله الله ﷻ في الآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۙ﴾، ويزعمون أن الله، تعالى أمرهم فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ وأنهم يستجيبون لأمر الله فيقولون: ﴿ٱللَّهُ ۙ﴾.

وهؤلاء في استدلالهم بهذا الجزء من الآية يفعلون ما فعل اليهود، بل هم شَرٌّ من اليهود، ورَبُّنَا في الآية الكريمة أخبر عن اليهود أنهم يجعلون الكتاب الذي جاء به موسى من قِبَلِ الله ﷻ «قراطيس» أي: يقطّعونه أوراقًا، وأَوْزاعًا مفرقة، فيغيرون المعنى الذي أراده الله تعالى بتقطيع الآيات، وفَصْلِهَا، أو فصل بعضها عنها.

وهؤلاء المبتدعون الضالون يفعلون ذلك، فيَقْطعون

قول الله ﷻ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، عن الآية، أو عما سبق من الآية، فربنا يقول: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ ثم يقول الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، أي قل: «أنزله الله»، أو: «قل الله أنزله» فلفظ الجلالة هنا فاعلٌ لِفِعْلٍ محذوف تقديره: «أنزله» أو مبتدأ لخبر محذوف تقديره «مُنْزِلُهُ» وعلى الحالين يكون لفظ الجلالة -تبارك- جزءًا من جملة فعلية: «أنزله الله» أو اسمية: «الله منزله، أو الله أنزله»، وعلى ذلك فاستدلالهم باطل، وحجتهم داحضة، وفِعْلهم بدعة، وذِكْرُهُمْ ضلالةٌ مرفوضةٌ، وكلُّهم مطرودون من رحمة الله ضالُّون إن كانوا عالمين وجهلة فاسقون إن كانوا جاهلين.

وأما عقلًا؛ فإنه من المعلوم أن كل ذي دين -حقا كان أو باطلا- لديه في دينه ما يسميه «الله» أي لديه إله يعتقد به ويؤمن به ويؤمن له، ويزعم أنه حق، والأديان الكتابية والوضعية جميعها، على ذلك فاليهود يقولون «الله» والنصارى يقولون «الله» والهندوس والبوذيون، وغير هؤلاء

وأولئك لهم جميعا إلهٌ يؤمنون به، ويقولون جميعا الله، كلٌّ بلُغَتِهِ، واختلافُ اللغة لا يغير شيئا مما قلناه، ونحن معهم نؤمن بالله، ونقول «الله».

ويأتي السؤال: ما الذي يفرق بين الله الحق -سبحانه- والآلهة الباطلة؟

إن الذي يفرق هو: ما يعتقده أصحاب كل ذي دين في إلههم من الصفات العلا، والأسماء الحُسْنَى التي تُذكر إلى جانب لفظ الجلالة، أو اسم الإله لِتَدُلَّ على معتقَد أتباعه فيه.

وهذا يعني -بوضوحٍ شديدٍ-: أنَّ الذاكر إذا قال: «الله» فقط، لم يبين عن عقيدته، ولم يعين ذلك الإله الذي يؤمن به، بل هو لم يتميز عن الآخرين بشيء، فهو يقول كما يقولون، وينطق كما ينطقون، فهو واحد منهم، فليَخْتَرْ لنفسه آية جماعة منهم؛ لأنه بذكره هذا الذي ليس عندنا ذكرا، لم يخرج عنهم، وليس على شرع الله ﷻ في شيء.

إنه لكي يكون ذاكرا لله ﷻ لا بد وأن يقرن اسم الله -

تبارك- بما ينزّه الله ﷻ ويقدّسه ويحدّد عقيدته فيه -سبحانه-.

إن العبد إذا قال: «الله» فقط، فلا يبعد أن يجد من يقول: «ماذا عنه؟ ما صفاته؟ ما أسماؤه؟ ما عقيدتك فيه؟ وهذا يعني: أَنَّ ذكره المزعومَ لم يأتِ بشيء، لا إثباتًا ولا نفيًا.

وذكر الله المزعوم الذي سبقت الإشارة إليه ليس ذكرًا شرعيًّا، بل هو بدعة ضلالة، وقد عرفنا مكان البدعة الضلالة من حديث رسول الله ﷺ المشهور.

لكن هنالك ما هو أسوأُ، وأَدْخَلُ في الضلال، وأَبْعَدُ عن الحق مما أشرنا إليه آنفًا.

فمن الذاكرين المبتدعين من لا ينطق اسم الله -تبارك اسمه- بل يُتَهْتِهُ بكلماتٍ، ويَرْجُمُ بألفاظ غير مفهومة ولا هي معلومة، وهذه مرحلةٌ تأتي في «الذكر الضلالة» بعد المرحلة السابقة التي يذكر فيها اسم الله فقط، حيث يبدأ الذاكرون الضالُّون بنطق لفظ الجلالة في هدوء، ثم مع الرقص والتمايُلِ يَمْنَةً ويَسْرَةً، ثم حين يسرجهم الشيطان

ويلجمهم ويركب؛ يتحول الجميع إلى قطيعٍ به مَسٌّ من الجن، يتمايلون ويتقافزون، وينفخون ويصرخون، ثم يصون الله ﷻ اسمه عن ألسنة هؤلاء المهابيل فتلتوي ألسنتهم عن لفظ الجلالة -تبارك- وينطقون بألفاظ غير مفهومة، تبدأ بكلمة «هُوْ» ثم تتحول إلى أف، وهف، وغير ذلك.

ثم منهم من يكتفي بالوقوف من الضلالة والبدعة عند هذا، ومنهم من لا يكتفي حتى يُرْغِيَ ويُزْبِدَ ويقذف الزبد من فمه، وقد يُصْرَعُ، وقد ينطق بكلمات يلقيها شيطانٌ على لسانه، وعند ذلك يصيح جَمْعُ الضلالة هؤلاء مهلِّلاً مكبرا؛ فقد ظهر بينهم وليٌّ واصلٌ، وملهَمٌ كاملٌ... حيث هذه الحركات الضالة التي يستخدمهم الشيطان بها هي عند الغاغة والدهماء، والعوام والجهلاء من الأدلة القاطعة، والحجج الساطعة على أَنَّ صاحبها وليٌّ من أولياء الله -عياذا بالله-.

هذا مع أن البدائة التي عُلمتْ من ديننا ضرورةُ أنَّ الذكر مرتبطٌ بالفِكْرِ وأنَّ الله تعالى قد رَفَعَ القلم عن ثلاثة: عن النائم

حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق، والجامع بين الثلاثة هو انعدام الفكر وضعف العقل أو ذَهَابُهُ، فكيف يكون ذاكرا الله ﷻ مَنْ لا فِكْر لديه ولا عقل ولا تدبر؟

فالذاكرون يذكرون ويتفكرون، وقد عرفنا أن المسلم إذا عُطِّلَ فِكْرُهُ وعُطِبَ عقلُه لسبب من الأسباب التي تجرّده عن العقل ووظيفته من الفكر والتدبر - خرج عن التكليف، ورُفِعَ القلم عنه، ودخل في جملة البُلْه والمعاتيه أو المجانين.

ولسنا نقول برفع القلم عن هذا القطيع من الزاعمين ذكرَ الله وذكرُ الله منزّهٌ عنهم، بريءٌ منهم، ولكن القلم يسجل عليهم عبثهم بذكر الله تعالى، وجرأتهم على الله ﷻ ولَعِبَهُمْ ولهوهم برب العالمين، إن الذاكر لله ﷻ يجب عليه أن يكون على حالٍ تليق بالمذكور -جل وعلا- من خشيته وتقديسه واستحضار عظمته وجلاله لكن هؤلاء بحالهم يُذَكّرُونَنَا بإخوانٍ لهم، قال الله فيهم لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[التوبة:٦٥].